الوفاق

صحيفة ايران الدولية

ملحق خاص
بمناسبة زيارة رئيس
الجمهورية الى سوريا

السنة السادسة والعشرون ● العدد ٧٢٢٧ ● الخميس ● ١٣ شوال ١٤٤٤ ● ٤ مايو ٢٠٢٣

تقوية البنية الدفاعية.. نحو سوريا مستقلة

الوفاق/ خاص
محمد صادق عليزاده

"لا يمكن لإيران أن تكون علاقاتها مع اصدقائها وحلفائها، علاقة استعمارية" هذه العبارة الاستراتيجية يمكن اعتبارها الأساس الذي يفسر التواجد العسكري المستقبلي لإيران في المنطقة، وعلى وجه الخصوص، سوريا. لذلك فإن ايران، وعلى الرغم من كل المساعدات العسكرية المباشرة وغير المباشرة التي قدمتها لأصدقائها وحلفائها في أنحاء مختلفة من العالم، إلا أنها حافظت على أن يكون هذا المبدأ أحد خطوطها الحمراء، التي اعترفت خلالها بوجود واستقلال هذه المجتمعات والحكومات بالشكل الرسمي لها، ووفق ما تحتاج إليه هذه المجتمعات إلى مساعدة مباشرة من إيران، يتم تقديمه بطريقة لا تنتهك الحق الطبيعي للاستقلال الوطني لهذه المجتمعات.

ولابد من ذكر بعض الحالات المناسبة التي يمكن الاستشهاد بها لتوجّه ايران، والمتمثلة بحزب الله في لبنان والحشد الشعبي في العراق. فالجمهورية الإسلامية الايرانية بعد صعود نجم فصائل المقاومة، وبدلاً من التدخل العسكري المباشر في هذه المجتمعات، اتجهت ايران إلى تعزيز القواعد العسكرية والدفاعية لتيارات المقاومة وأصبحت في موقع المستشارة لهم. استراتيجية ايران هذه، متأتية من حالة الأخوة والتعاون الديني والاسلامي الحاضر بين الأطراف، فإن هذه الاستراتيجية ستبعث على اختيار القرارات الكلية والجزئية لفصائل المقاومة، أي عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

إن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لتيارات المقاومة، لا سيما في بلدانها ومجتمعاتها، كان من المبادئ المسلّم بها. والدليل على ذلك هو الوضع الراهن لتيارات المقاومة الإسلامية في لبنان. وفي صميم هذه المساعدات التي قدمتها ايران لم تك تنتظر بتاتاً أي مُقابل من حزب الله. وهذا ما يتجلّى فيما حدث في حرب تموز، والقرار الاستراتيجي بأخذ رهائن من جيش العدو الصهيوني عام ٢٠٠٦م، حيث كان قراراً لبنانياً كاملاً تم اتخاذه من قبل المقاومة.

إن من مبادئ الجمهورية الاسلامية الإيرانية إزاء التعامل مع حلفائها كان ولا يزال يعتمد على مبدأ الاستقلال، رغم ما تقدمه وقدمته من دعم ومساعدات شاملة لهم. وهذا بطبيعة الحال يغاير ما تسلكه الدول المستعمرة والاستكبارية، حيث أن ايران لا تتردد في تأمين التقنيات التكنولوجية اللازمة لإنتاج المعدات الدفاعية للحلفاء، سواء في غزة أو لبنان أو سوريا. على هذا الأساس، فإن ايران ومن هذا المنطلق، لا تُعلّم اصدقاءها أو حلفاءها أكل السمك فحسب، بل تعلمهم صيد السمك أيضاً. وذلك بغية أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بشكل مستقل إزاء مؤامرات الأعداء. وهذا بالتحديد ما أكده قائد الثورة الاسلامية الإمام الخميني (رض) في بداية الثورة حول تصدير الثورة الإسلامية المباركة.

اليوم، مع الاطلاع على الاستراتيجية الايرانية هذه، فإن ملامح التواجد العسكري الايراني في سوريا باتت واضحةً أمام الجميع. فقد كان تواجد الجمهورية الاسلامية الإيرانية والمقاومة الاسلامية اللبنانية في سوريا قد جاء بدعوة من الحكومة السورية الرسمية والشرعية لمواجهة الارهاب الدولي التكفيري. ولذلك كان الحضور أو التواجد العسكري الايراني، أكثر وضوحاً ومُباشرةً. وفي تلك الأيام الصعبة الشديدة التي مرت، يوم وصل الارهاب المدعوم من أمريكا و(اسرائيل) الى حدود دمشق، وكانت بعض دول المنطقة تساند الارهاب بالتطبيع، صحّحت مسارها وعادت الى التطبيع المعاكس أيضاً، لكن هذه المرّة مع دمشق.

إن من مبادئ الجمهورية الاسلامية الإيرانية إزاء التعامل مع حلفائهاكان ولا يزال يعتمد على مبدأ الاستقلال، رغم ما تقدمه وقدمته من دعم ومساعدات شاملة لهم

وفيما عادت المياه الى مجاريها، إنطلقت اليوم مرحلة ثانية من المشاورات مع الجمهورية الاسلامية الايرانية. الهدف الأساس منها هو مساعدة الحكومة السورية من خلال تقوية وتطوير البنى التحتية الدفاعية لها، ضد العدو العبري بشكل مستقل ومباشر. وهنا لابد من تقوية عناصر الجيش والقوات المسلحة وجميع قطاعات الدفاع السورية، لأجل حماية استقلالها ومصالحها. وهذا يصب في تشكيل دولة سورية مستقلة وقوية تقف بقوة ضد العدو الصهيوني، دولة مستقلة الى جانب حزب الله المستقل هو الآخر والقوي، كذلك المقاومة الفلسطينية.

ورغم أن كل تيارات أو فصائل المقاومة، تواجه ضمن تكتّل واحد العدو الصهيوني الأمريكي، إلاّ أنه لكل منها هويتها المستقلة، هويّة تدفع كل جزء من هذا الجسد الواحد لعدم التدخل في شؤون الجزء الآخر مع العلم أنه داعم له في إطار واجبه ضمن هذا الجسد.

على مدى الأشهر الأخيرة، ما شهدناه حول تعزيز البنى التحتية الدفاعية السورية لا سيما تطوير الدفاعات الجوّية لهذا البلد، بما في ذلك الجانب الدفاعي للجيش السوري يصبّ في هذا الاتجاه، وهو كان سبباً لغضب الكيان الصهيوني ومبعث لتخبّط العدو. فقد أحس العدو الصهيوني بخطورة هذا الوضع، وفي حال نجاح الجمهورية الاسلامية الإيرانية في تحقيق المرحلة الثانية من استراتيجيتها للسنوات المقبلة في سوريا، المُتمثّلة بتعزيز القدرات والبنى التحتية الدفاعية لهذا البلد، ستكون سوريا المستقبل مُغايرة لتلك التي كانت عليها سابقاً.

عَلاقَةُ فَارس بالعَرَب ثقافياً وأدبياً.. عَلاقةُ الرُّوْحِ بالجَسَد

الوفاق/ خاص
أ.د. حسين جُمعة

تقديم: لا تستطيع كلمات محددة أن تفي العلاقة الثقافية الأدبية بين فارس والعرب حقها، فهي علاقة راسخة الجذور في عمق الامتداد التاريخي الجغرافي والاجتماعي، وهي علاقة متعددة المسالك والأغراض، تستند إلى القواسم المشتركة التي أنارت طريق المعرفة إليها وكان الأدب يجسد الروح الجمالية المتألقة لفلسفتها وحيويتها.

وإذا كانت العلاقات السياسية محكومة بالمصالح المتبادلة بين الدول والمجتمعات فإن العلاقة بين فارس والعرب محكومة بشروط موضوعية وإرث عريق من التفاعل والتعاون، ما يجعلنا نتوقف ابتداء عند نماذج من تاريخ العلاقات الثقافية والأدبية، التي لم تنقطع يوماً، حتى في أشد الأوقات عُسْرَةً، لننفذ منها إلى نماذج من العلاقات المعاصرة المضيئة منذ الثورة الإسلامية الإيرانية عام (١٩٧٩م).

وهذا كله يعتمد منهج الاختيار الشفاف لأبرز النماذج التي تجسد ماهية العلاقة وجوهرها.

١ . نماذج من تاريخ العلاقة الثقافية والأدبية:

يؤكد التاريخ أن العلاقة بين فارس والعرب لم تكن . فقط . علاقة سياسية، بل كانت علاقات ثقافية وأدبية واجتماعية منذ الألف الثاني قبل الميلاد.

ويكفي الباحث أن يشير إلى نماذج من التعاون الأدبي والثقافي واستخدام الترجمة منذ أيام الأكاسرة في العصر الجاهلي. فالشاعر الجاهلي عدي بن العبادي نسبة إلى النصرانية، من نصارى الحيرة وفد على كسرى وكان معروفاً بالقراءة والكتابة فأصبح مترجم كسرى والأثير عنده. وربما مكث عنده زماناً ثم يستأذنه فيرجع إلى أهله شهراً أو أكثر ليعود بعده.

والشاعر الأعشى (ميمون بن قيس/ المكنى بـأبي بَصِيْر) كان يتنقل في البلاد مادحاً أمراءها وملوكها، وقد تعددت رحلاته الثقافية والأدبية إلى كسرى مفيداً من لغة فارس وطبيعة حياتها مقتبساً نماذج من مفرداتها في شعره .

وبالمقابل وجدنا حركة شعرية في بلاد فارس تتأثر بالشعر العربي كما هو حال الشاعر الضرير أبي عبد الله جعفر بن محمد السمرقندي الذي عرف بلقب (رُوْدَكي), وكان قد استحدث (المَثْنَوي) الذي عرف (بالدُّوْبَيْت) بمثل ما نظم على إيقاع يشبه إيقاع الخَبَب عند العرب ، وكأنه يحاكيه.

فالتاريخ الاجتماعي الثقافي والأدبي يثبت أن العلاقة بين فارس والعرب إنما هي علاقة التعاون والتكامل وندر أن تعرضت للتوتر والاضطراب والخلاف والصراع، كما حدث في (ذي قار) . وكانت الحركة الموارة في مشهد الاتصال أشد تماسكاً من الخلاف الذي ينشب في حالات الهوس والانفصال، فمشهد الاتصال جسد وعياً حضارياً من المعرفة التي قوّت روابطها العقول الذكية، وبرزت أشعتها المضيئة والمتناغمة في نفوس جبلت على التسامح والمودة، واعتناق الجمال الذي أبعد عنها التنافر والتنابذ...

ولمّا أراد الله لفارس أن تكون سيدة في الإسلام جعل أبناءها يحملون رايته، بل صار أكثر حَمَلَةِ المَعْرفة والعلم والفِقْه والفلسفة من غير العرب . فقد تجسدت روح القيم الإسلامية السامية في نفوس أبناء فارس صغاراً وكباراً، وحملوا حيوية النفحة الروحانية لمشاعر الإخاء والإيثار... وغدت معجزة القرآن معجزة بيانية ثقافية معرفية خلقية بما تبنته من روح التعاون والمساواة والتكامل، وصار الأدب خَيْرَ حَسَبٍ بل أحد الأنسباء بين المسلمين، وبخاصة بين الأصفياء، وطفق الناس يتأدبون بأدب الدين الحنيف وحكمة حَمَلَتِهِ مِنَ الأتقياء الأنقياء. وإذا كان كل شيء يحتاج إلى العقل فإن العقل يحتاج دائماً إلى الأدب والخلق...

وفق وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): "يا بنيَّ اجْعَلْ نفسَكَ ميزاناً فيما بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيرِك. فأَحْبِبْ لغَيْرِكَ ما تُحبُّ لنفسِكَ، واكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لها، ولا تَظْلِم، كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك" .

وفي هذا المقام، يمكننا الإشارة إلى عبد الله بن المقفع (١٠٦ . ١٤٢هـ/ ٧٢٤ . ٧٥٩م) الذي توقفنا عنده في دراسة مستفيضة أوقفتنا عند جهوده الجبارة في عالم الترجمة للآداب المكتوبة بالفهلوية ونقلها إلى العربية؛ مثل كتابه الشهير (كليلة ودمنة). ولمّا كان شديد الذكاء، دقيق الملاحظة؛ بارعاً في تناول الأدب واللغة، واسع المعرفة صار واحداً من عباقرة التأليف والكلمة الأدبية كما نراه في كتابيه (الأدب الصغير/ الأدب الكبير) وهما مجموعة حِكَمٍ بليغة بأسلوب أدبي رفيع.

وبذلك وغيره كان أحد من عقد الأواصر الثقافية بين العرب وفارس منذ وقت مبكر، وصار من أصحاب اللسانين، وعَلا صِيْتُهُ وذاعَتْ شهرته، لا يضاهيه فيها إلاّ الصّاحب بن عَبّاد وابن العميد من بعدُ، وقبلهما كان سيبويه (عمرو بن عثمان بن قَنْبَرَ/ نحو ١٤٠ . ١٨٠ هـ / ٧٥٧ . ٧٩٦م) الذي فاق في علم اللغة والنحو أستاذه (الخليل بن أحمد الفراهيدي / ١٠٠ . ١٧٤ هـ/ ٧١٨ . ٧٨٩) .

ويبدو لي أن كثيراً من أبناء فارس حملوا تعاليم الدين الحنيف بين جوانحهم وفي أفئدتهم وخلقوا منها روحاً وثابة تدفقت على ألسنتهم بنزعة التصوف الروحية المشبعة بوعي جمالي أخّاذ للصلة الربانية. ووجدنا عدداً غير قليل منهم يتشرب شخصية المتصوف الكاملة كالشاعر النيسابوري فريد الدين العَطّار الذي ولد بقرية (كَدْكَنْ) وفيها توفي ودفن (٥٤٠ . ٦١٨هـ) وكان أحد تلامذة سنائي المتصوف والشاعر الإيراني، وأبي يزيد البَسْطامي والحَلاّج من العرب وقد طوّف بلاداً عدة كالكوفة وبغداد ودمشق ومكة والمدينة والهند وباكستان.

واشتهر بكتاب (تذكرة الأولياء) و(منطق الطير) وأثّر فيمن جاء بعده كالشاعر المعروف جلال الدين الرومي، والشاعرين الشيرازيين، حافظ؛ وسعدي. كان فريد الدين العطار كالشمس المشرقة في ثقافته وأدبه، وهو من تميز بالحكمة والإشراق والإنسانية، وهو القائل: (الروح لا تساوي شيئاً إذا كانت دون أَحِبَّة، فكُنْ كالرجال، وانْثُرْ روحَكَ الغالية) . فالعطار وحافظ الشيرازي وعمر الخيام وسعدي الشيرازي والكنجوي الذي نظم ما يعرف بالكنوز الخمسة (بَنْج كَنْج) نسجوا أشعارهم روحاً متألقة من رؤى حضارية إنسانية تعلي مكانة الإنسان، ولا سيّما المستضعف المظلوم، وترتقي بها في عالم الفضائل والأمان. لذا يقول حافظ الشيرازي، مثلاً:

فيا أيُّها المُنْعِم؛ لا تُحَقِّرْ أَمْرَ الضُّعَفاء الهَزيلين
فإنَّ السَّائِلَ المُتَخَلِّفَ في الطَّرِيقِ لَهُ الصَّدَارَةُ في مَجْلِس الشَّراب

وكان الدكتور (إبراهيم أمين الشواربي .المتوفى ١٩٦٤م) أحد الذين غاصوا في إشراقات حافظ الفلسفية والصوفية الشعرية، ودرس حياته وشعره في كتاب (حافظ الشيرازي / شاعر الغناء والغزل في إيران) ونشره عام (١٩٤٤م) وترجم بعده في العام نفسه ديوان حافظ ونشره في جزئين/ عام ١٩٤٤ /بعنوان (أغاني شيراز/ أو غزليات حافظ الشيرازي؛ شاعر الغناء والغزل في إيران) المتوفى بشيراز (٧٩١هـ/ ١٣٨٩هـ) وبها كانت ولادته في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وبها كانت إقامته، وحفظ القرآن فلقب بحافظ .

وما إن يُذكر حافظ الشيرازي حتى يذكر ابن بلدته وبجدته (سعدي الشيرازي/ المولود بشيراز/ ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م/ وبها مات (٦٩١هـ/ ١٢٩١م/ واسمهُ مُشَرّف الدين بن مصلح الدين/ وكان أحد أساطين الأدب الفارسي /ولا سيّما ديوانه: البوستان) فضلاً عن (كلستان: حديقة الورد) .

وسعى المبدعون الإيرانيون إلى تبني الرؤى الإنسانية السامية، ذات المضمون الصوفي المجبول بروح المجنون ليلى، وأمثاله. واختاروا لذلك بحر الرمل/ غالباً/ ذي التفعيلات الثمانية (فاعلاتن)، ومثله بحر (الوافر/ مفاعلتن)، فضلاً عن الموشحات، ولم يتخلوا عن الأوزان القصيرة والسريعة.

وحين اختار عمر الخيام المولود سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤٠م) والمتوفى سنة (٥١٧هـ/ ١١٣١م) نظام الرباعيات المثقفة الروي عدا الشطر الثالث منها ، فإن جلال الدين الرومي اختار نظام المثنوي .

ويعتقد الباحث الموضوعي أن الإرث الأدبي والثقافي كان يعزز وجوده الخلاف بالانفتاح على عالمي الحياة والوجود ليرتقي بالمجتمع إلى الانفتاح على آداب العربية وبلاغتها ولغتها ليؤصل حالة نوعية من الاتصال بعيدة عن التنافر والتناحر والتباغض...

وهذا كله ما يمكن أن يشهده المرء في الثقافة الأصيلة الخلاقة للثورة الإسلامية الإيرانية، ومبادئها الإنسانية التي انتصرت لإنسانية الإنسان، وانتشاله من وهدة الانحراف والنفاق والتضليل، ومن ثم توّجت آدابها بروح الرؤى الخلقية والقيم الإسلامية التي تمنح معينها من مبادئ الإسلام وتعاليمه.

٢ – نماذج من العلاقات الأدبية المتألقة المعاصرة:

كانت مرحلة ستينيات القرن العشرين – خاصة – من أبرز مراحل الوعي المجتمعي للشعب الإيراني على مختلف الصعد والمستويات، وهي المرحلة التي خلقت الصحوة الفاعلة التي أكدت العودة إلى تحقيق الهوية الذاتية والإسلامية للشعب الإيراني في صميم وعي أحداث الواقع سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وخلقياً ودينياً، وطفق العلماء والمبدعون والمفكرون يشكلون الروح الإيرانية تشكيلاً يجمع ما بين الإرث الثقافي الإسلامي والصوفي وما بين الروح الأدبية التي تجسد الثورة على التخلف والفقر والتبعية، والانطلاق من إسار قيد الإلحاق إلى التحرر الذي يحقق لإيران وشعبها السيادة والاستقلال.

وكان الإمام الخميني (ق.س) حريصاً على استعادة قيم الذات الإيرانية الإسلامية، فشرع يُجذر في خطاباته ومحاضراته وكلماته قيم التحرر ومقارعة الاستبداد وعدم الاستكانة للطغاة والظلمة والظلم... وكان المفكر (علي شريعتي/ المتوفى سنة ١٩٧٧م) يتوافق مع رؤى الإمام الخميني وفلسفته، وحركته، وكذا كان الشهيد (مُرْتَضَى مُطَهَّري – ١٩٧٩م) واحداً من أبرز قادة الثقافة الفكرية والأدبية والإسلامية التي تعزز مبادئ الثورة الإسلامية... ثم كان العلامة والشاعر (محمد حسين طباطبائي – ١٩٨١م) من أبرز من عَرَّف بأشعاره الصوفية أبناء فارس حقيقة الواقع الذي يعيشونه. كان كالإمام الخميني في شعره وكلماته يُبَصّر العقول بحقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، ولاسيما أن إيران مازالت تعيش آثار الاستبداد البهلوي الذي حجب عنها نور المعرفة الحقيقية على عدة مستويات.

وألّفت الكتب الأدبية التي طفقت تؤيد حركة الوعي النهضوي الفكري للتحرر من قيد القهر، فكتب (ميرعابديني كتاباً مفيداً في هذا الاتجاه عن (الأدب في سنوات ١٩٦١ – ١٩٧٩م)، وفيه تناول ماهية الهوية الإسلامية الشرقية لإيران وفق رؤية وعي المفكرين المستنيرين من إيران؛ فضلاً عن الرؤى الأدبية التي كانت تستلهم ذلك وإن لم تكن بالوضوح ذاته كما قرأته في كتاب "مَشهد الشعر الإيراني المعاصر" تأليف (سَيِّد مهدي زرقاني) الذي ترجمته الدكتورة ندى حسون إلى العربية وصدر في دمشق عن دار نينوى – ٢٠١٩م.

ومن ثمة فإن الثورة الإسلامية الإيرانية التي شع نورها في (١٩٧٩/٢/١١م) حملت مشعل الارتقاء إلى صفاء العشق الإلهي وهداية أبناء فارس إلى التعاون الحق مع أبناء أمتهم الإسلامية والعربية، وتأكيد حضورها الإنساني الذي يقف إلى جانب المستضعفين أينما كانوا.

وكان الإمام الخميني (ق.س) قد قال: "إن هدف الجمهورية الإسلامية الإيرانية هو تحقيق السعادة للإنسان في كل المجتمعات الإنسانية". وقال: "نحن أنصار المظلومين، نحن أنصار كل مظلوم في أي معسكر كان" لأن من أهم مبادئ الثورة أنها ليست شرقية ولا غربية، إنما هي زيتونة مباركة بأشعتها للبشرية كافة.

وأكد أنصار الثورة وشعب إيران وشرفاء العالم انحيازهم لمبادئ الإمام الراحل (ق.س) وأخذت المعرفة الثقافية والأدبية والنقدية تنحاز للتعاون مع ثقافة الأمة الإسلامية التي تنتمي إليها إيران، وطفقت مضامين الأدب تتحول بوضوح أشد سطوعاً نحو مناصرة قضايا الشعوب المظلومة لتعيد إلى الأدب صيرورته الحضارية المتألقة، مبتعدة عن ضبابية الرؤى؛ أو السير على خطا التقليد القديم... وقد ظهر أدباء مبدعون قبل الثورة وبعدها انحازوا إلى قيمها كالشاعر الدكتور (قيصر أمين بور/ المتوفى سنة ٢٠٠٧م) (والمولود سنة / ١٩٥٩م) الذي صَدَح بصوت مدوٍ قائلاً:

ذلك اليوم الذي يكتب فيه على الأبواب بخَطٍّ بسيط
"يمنع دخول الرقاب المُنْحَنية
ولن تركع الركبة المتعبة المنيعة
سوى أمام أقدام الحب"

ومثله كانت الشاعرتان (طاهرة صفازاده) و(فاطمة راكعي)

وكان الباحث الأديب (محمد تقي جعفري/ المتوفى ١٩٩٨م) قد اختص بشرح مثنوي (جلال الدين الرومي) و(نظامي الكنجوي) و(الخيام) و(العطار). ولما تناول غير قليل من جماليات الأدب الإسلامي لديهم كان بودنا لو تناول بعض أشعار المعاصرين له، ولاسيما أن أشكال الأدب القديمة قد أعيد إنتاجها كالمثنوي، والشعر المرسل، والحر في الوقت الذي دار على مضامين الدفاع المقدس إبان ثمانينيات القرن العشرين، وهي مضامين جديدة تتسم بروح التحفيز والنفحات الصفوية الدافئة.

وقبل أن أطوي صفحات هذا البحث أقول: أشرت إلى عدد من الأبحاث التي عنيت بالأدب الفارسي وترجمت إلى العربية في غير ما زمان ومكان من الوقت المعاصر؛ وأشرت إلى عدد من الأبحاث التي كتبتها حول العلاقة بين الأدبين العربي والفارسي ؛ فضلاً عن مقالات علمية نشرتها مجلة الثقافة الإسلامية لي ولغيري تؤكد أهمية العلاقة الأدبية والثقافية الراقية للشعبين العربي والفارسي وتبرز أنها ليست علاقة عابرة بل هي ذات وجوه متعددة ومتنوعة ، وكلها جسَّدت الوحدة الثقافية والأدبية لفارس والعرب، وإن تنوعت المضامين.

وإذا كان التراث العربي/ الإسلامي الإيراني قد احتفى بالإبداع والمبدعين فإنه على الدوام كان يحرص على انتشال النفوس الضعيفة من وهاد التنافر والخلاف إلى تكوين الرؤى الحية والحضارية التي تتيح المجال للعقول الحرة المبدعة بصناعة التكامل وتغذية روح التلاقي، فكل شيء جميل يدفع القبح عن النفس.. ذلك ما وجدته في علاقات الأدباء والمفكرين من فارس وديار العرب ولاسيما سورية، وعبَّرت عنه المؤتمرات التي عقدت في مناسبات شتى في دمشق وطهران وغيرهما.

ونحن نحتاج إلى مزيد من التكامل الأدبي والجمالي لأنه يجسد روح التسامي والارتقاء.

والله من رواء القصد

وجدنا حركة شعرية في بلاد فارس تتأثر بالشعر العربي كما هو حال الشاعر رُوْدَكي، وكان قد استحدث (المَثْنَوي) الذي عرف (بالدُّوْبَيْت) بمثل ما نظم على إيقاع يشبه إيقاع الخَبَب عند العرب، وكأنه يحاكيه

كان المفكر علي شريعتي يتوافق مع رؤى الإمام الخميني وفلسفته، وحركته، وكذا كان الشهيد مُرْتَضَى مُطَهَّري واحداً من أبرز قادة الثقافة الفكرية والأدبية والإسلامية التي تعزز مبادئ الثورة الإسلامية

العلاقات السورية-الإيرانية والجغرافيا السياسية الجديدة

الوفاق/ خاص
الدكتور فايز عز الدين

لا شكّ. بادئ ذي بدء. أن العلاقات العربية. الإيرانية تعود إلى حقب موغلة في التاريخ القديم خاصة حين جمع الإسلام بين الطرفين بعقيدة واحدة، وبمصالح مشتركة تعزز التحالف بينهما من منظور الأفق المشترك، والمصير المشترك .وتوفير السلم، والأمن الإقليميين.

ومن المعروف أن هذه العلاقة قد اضطربت خلال فترة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الماضي على السياسة التي اتبعها المشروع الشاهنشاهي للشاه المخلوع محمد رضا بهلوي حين إلتحق بالمنظومة الشرق أوسطية الموالية للغرب والمعادية لفكرة التحرر الوطني العربي ولا سيّما في النضال من أجل الحقوق التاريخية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في تحرير أرضه وإقامة دولته الوطنية بإرادته الوطنية الحرة.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني (ق.س) تبدلت الجغرافيا السياسية في المنطقة عموماً خاصة بعد أن أنهت الثورة الإيرانية الوجود الصهيوني على الأرض الإيرانية بطرد الإسرائيليين وتسليم السفارة الصهيونية إلى الفلسطينيين، كإعتراف مهم جداً بحقوقهم التاريخية المشروعة، يضاف إليه أن قادة الثورة الإيرانية قد أعلنوا تبنّيهم لقضية تحرير القدس، ومشاركتهم المطلوبة بتحقيق هذا الهدف المقدس، عبر الدعم المادي والمعنوي لحركة التحرر الفلسطينية بفصائلها المتعددة.

ومما يُذكّر بالمزيد من الاحترام والتقدير للسياسة التي اتبعتها الثورة الإيرانية وجغرافيتها الجديدة هو أن قادة الثورة قد رفضوا سياسة الغرب تجاه القضية الفلسطينية، ورفضوا خط الاستسلام، والتصفية للحقوق العربية عبر رفضهم للاتفاقية المصرية. الإسرائيلية، ولكل من دار في فلكها، وظهر في ذلك الزمن محور جديد يمثل موقفاً جيواستراتيجياً تحالفياً ضم إيران وسورية، وليبيا، واليمن الجنوبي، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وقد زاد هذا الموقف الإيراني من عمق التحالف الاستراتيجي مع سورية بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد، التي كانت على رأس جبهة الصمود والتصدي المناهضة للخط الاستسلامي العربي مع الكيان الصهيوني، الذي أسهم عبر معاهداته المذلّة بتغيير موازين القوى في المنطقة لصالح (إسرائيل) ما اضطر سورية إلى طرح مبدأ التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني ولو من سورية بمفردها.

حرصت السياسة السورية والسياسة الإيرانية على تعزيز عملية الشراكة في الوقوف بوجه المشروع الشرق أوسطي المزمع

والسياسة الحكيمة للثورة الإيرانية أيضاً تمثلت في الحرب التي شنها العراق على إيران في بداية ثورتها، حيث زاد هذا الحال من ثقل سورية في العيون الإيرانية من الناحية الاستراتيجية حتى لا تتحول الحرب مع العراق إلى حرب عربية. إيرانية تكون هذا الحال هو مطلب أميركي .صهيوني رُصِدَ لكي يتم الضغط على الثورة الإسلامية التي جعلت في رأس أهدافها تحرير القدس، والوقوف مع الشعب العربي الفلسطيني في حركة التحرر الوطني الفلسطيني لتحرير أرضه وإقامة دولته الوطنية عليها. فالعلاقة السورية. الإيرانية كانت، ومازالت في طبيعة الرؤية الواحدة لخطر المشروع الأمروصهيوني الشرق أوسطي الهادف للسيطرة الإقليمية الكاملة لأميركا المتعهدة للمشروع الصهيوني على الأرض العربية، وما لهذا المشروع الإمبريالي من تأثير مباشر على الأمن، والسلم الإقليميين، ومن تهويد مباشر للمجال الحيوي للأمن الإيراني بصورة خاصة.

ولقد تمظهرت العلاقات السورية .الإيرانية في القضايا العربية على أكثر من صعيد وأكثر من دولة وفي طليعة ذلك الموقف المشترك من ضرورة إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية، ودعم المقاومة الإسلامية اللبنانية في الجنوب، وتعظيم دورها ضد الكيان الصهيوني، ومساندة الفصائل الفلسطينية الموجودة على الأرض اللبنانية.

وكذلك ساعدت هذه العلاقة السورية. الإيرانية في ترميم النظام الأمني الإقليمي في وجه المخططات الأمروصهيونية العازمة دوماً على تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الجديد؛ الرامي لتجزئة دول المنطقة وتقسيم جغرافيتها، ووضعها تحت سيطرة المركز الإقليمي الأكبر المزمع (إسرائيل).

وفيما يتصل بأمن الخليج الفارسي عموماً كانت السياسة السورية والإيرانية على تقاطع دائم بأن لا يكون هذا الأمن تحت الإشراف الغربي الأميركي بل يكون من قبل دول المنطقة ذاتها، ومعبراً عن مصالح كافة الفرقاء المعنيين. وعليه فقط استمر التوافق السوري. الإيراني على أن سورية طرف أساسي في الصراع العربي. الصهيوني وما يستدعي هذا الحال من دعمها المستمر، وتعميق العلاقات المشتركة على أساس ذلك.

ومن المعروف أن العلاقة السورية الإيرانية قد جعلت الدور المهم لإيران في تهدئة الوضع على الحدود بين سورية وتركيا في نهاية القرن الماضي حينما، ادّعت تركيا بأن سورية تدعم المعارضة الكردية ضد النظام التركي الموجود.

وقد حرصت السياسة السورية والسياسة الإيرانية على تعزيز عملية الشراكة في الوقوف بوجه المشروع الشرق أوسطي المزمع، وبقاء الدولتين معاً من أجل منظومة إقليمية في الشرق الأوسط توفر الأمن الجيواستراتيجي لجميع الدول على حد سواء.

ومن الجدير بالذكر أن السياسة الإيرانية التي تنظر إلى سورية كشريك تحالفي استراتيجي في منطقة الشرق الأوسط تمّ تواصلها بكفاءتها المعروفة بعد وفاة القائد المؤسس حافظ الأسد، وظهور السيد الرئيس بشار الأسد على رأس السلطة في سورية في عام ٢٠٠٠ أو منتصفه، حيث استمر التحالف والعمل المشترك خدمة للمصالح القومية العليا للطرفين كليهما. وقد كان لعملهما المشترك على صعيد لبنان أن أجبرت (إسرائيل) على الانسحاب من جنوب لبنان في عملية فرار مذلّة. وهذا الانسحاب تحت ضغط قوى المقاومة في الجنوب بالمساندة السورية. الإيرانية قد شكل ضغطاً مهماً على الدول الأجنبية، والعربية الداعمة لعملية التسوية والتصفية للحقوق العربية عبر التفاوض مع العدو، وترك محور المقاومة ضده.

وفي العراق ساهمت العلاقات السورية الإيرانية بمقاومة الوجود الأميركي بعد احتلال العراق من قبل أميركا عام ٢٠٠٣، وبالأثناء كانت الضغوط الأميركية على الطرفين كليهما تشير دوماً إلى ضرورة تمتين التحالف الاستراتيجي بينهما، وهذا ما حصل بأكبر تجلياته في ما سمّي بالربيع العربي منذ بداية ٢٠١١، حيث بدأت الحرب الكونية الإرهابية على الدول الجمهورية العربية، وفي طليعتها سورية. وبالرغم من تكثيف التحالف الدولي الغربي الاستعماري المتصهين ضد سورية. وبذل أشكال الدعم المادي والمعنوي كافة، واللوجستي للإرهابيين تمكّنت العلاقات السورية. الإيرانية من تحقيق الموقف التحالفي ومواجهة قطعان الإرهاب على كامل الجغرافيا السورية، إن عبر الخبراء، أو بأشكال الدعم الممكن.

ولقد ظلّت هذه العلاقات تشهد المزيد من التقوية، والتمتين لا سيّما عبر الزيارات التي قام بها السيد رئيس الجمهورية العربية السورية الدكتور بشار الأسد، واستقباله بالحفاوة الكبيرة من قبل القادة الإيرانيين وعلى رأسهم الإمام الخامنئي. والزيارات المماثلة للقادة الإيرانيين لسورية واستقبالهم، وفتح الحوارات المختلفة حول توسيع التعاون المشترك في كافة المجالات: السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والتكنولوجية، حتى يتحقق التعاون الاستراتيجي بأعمق مدى له. وقد أكد السيد الرئيس بشار الأسد للوفود الإيرانية التي زارت سورية مؤخراً بأن النية السورية تتوجّه لجعل العمق الموجود في العلاقات السياسية مع إيران ينعكس عمقاً في العلاقات الاقتصادية بين البلدين، حتى تتسارع خطوات الإنجاز المشترك خدمة لمصالح الشعبين: السوري والإيراني.

وفي ختام المسعى: إن العلاقات السورية. الإيرانية قد بُنيت بإرادة مشتركة بين البلدين الصديقين، ومازالت تتواتر إنجازاتها، وتمثل عامل الاستقرار الأهم في المنظومة الإقليمية الحاضرة.

العلاقات السورية-الإيرانية من طلاق بائن إلى زواج كاثوليكي

الوفاق/ خاص
رياض طبرة

إتسمت العلاقات السورية - الإيرانية منذ استقلال البلدين بالوضوح التام، حيث تراوحت ما بين طلاق بائن زمن الشاه محمد رضا بهلوي، وعلاقات تشبه الزواج الكاثوليكي لا يقوى أحد على فكاكه أو مسه.

فمنذ مشروع مارشال والاقتحام الأميركي العلني للمنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وما شهدته سورية من انحياز أميركي جائر وتبنّ للكيان الغاصب، رأينا إيران الشاه في الخندق المعادي للعرب، ولا سيما مصر وسورية، اللتان اتجهتا معاً إلى تبني الدفاع في الخط الأول عن المصلحة العليا للعرب.

ومن قبل لم يستسغ العرب الاعتراف الشاهنشاهي بـ"اسرائيل" مثلما لم تتقبل أنفسهم الاعتراف المماثل من قبل تركيا، وقد جاء مبكراً وقريباً من التوقيت نفسه، بحيث بدا أن الأخوّة الاسلامية الجامعة للعرب والفرس والترك ليست إلّا حبراً على ورق، إن لم نقل أنها العداوة بكل معانيها.

وقد تفجّر كل ذلك منذ رفضت سورية مثلها مثل مصر عبدالناصر حلف بغداد (الحلف المركزي) الذي سعت بريطانيا عام ١٩٥٥ لإنشائه كحلف رديف للناتو في مواجهة الاتحاد السوفييتي وحركات التحرر العربية والعالمية؛ التي نهضت بقوة بعد مؤتمر الحياد الايجابي في باندونغ (أندونيسيا) ربيع عام ١٩٥٥؛ وما جاء بعد ذلك من حشود تركية على سورية لم تكن بعيدة عن مطامع حلف بغداد الذي كان يضم بريطانيا وباكستان وعراق عبدالإله ونوري السعيد في الاستيلاء على سورية.

بإختصار ظلت العلاقات الإيرانية - السورية انعكاساً لموقف الشاه وتعاونه مع العدو الاسرائيلي لضرب القومية العربية وتعطيل نضالها لتحقيق الوحدة القومية للعرب كباقي دول العالم التي كانت قد أنجزت وحدتها قبل قرن من هذا التاريخ أو أكثر.

ولم تتبدل حال العلاقات بين البلدين إلا بعد تفجر الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وانتصارها المذهل على أكبر نظام قمعي في تاريخ المنطقة مدجج بالسلاح، ومدعوم كلياً من الغرب الاستعماري ومهاب دولياً حتى من البلدان التي كانت تعرف بالمعسكر الشرقي، وقد شكّل هذا الانتصار الكبير حافزاً مهماً ومفصلياً، وعزز من ثقة شعوب المنطقة بقدراتها على كسر القيود وتحطيم الأصنام. فكانت انتصاراً لكل المستضعفين ولا سيما الشعب العربي الفلسطيني الذي تلقى دعماً غير محدود من هذه الثورة حين أغلقت السفارة الإسرائيلية في طهران، وانتهى ذلك الاعتراف بالعدو وكيانه، ويمكن الجزم أنها اللحظة التاريخية الفارقة والتي بدت رداً على كامب ديفيد، وتعويضاً عن خروج مصر من الصراع العربي - الصهيوني بعدما أقدم السادات بزيارة القدس، وكان قد التقى شاه إيران قبل إعلانه الفاجع بزيارة الخيانة والعار ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٧.

رحّبت سورية بالثورة الإيرانية وقد وقفت معها منذ إرهاصاتها الأولى فصارت حليفاً لها في مواجهة جبهة واسعة من الأعداء الذين، وعلى الرغم من تخليهم عن الشاه المخلوع، لم يتقبلوا بسهولة انتصار الثورة، وترحيب شعوب العالم الإسلامي بالثورة وقادتها وما أعلنوه من مبادئ ونادوا به من شعارات...

لقد تطورت العلاقات بين سورية وإيران على نحو متصاعد وتعززت على الدوام، وكان الهدف واضحاً والعدو محدداً، وهذا ما شكّل إرثاً وتراكماً مصلحياً عزز من دور وفاعلية الصداقة في مواجهة المخاطر من كل حدب وصوب، حتى كان موقف سورية في دعم إيران وسعيها لوقف الحرب العراقية - الإيرانية دون جدوى.

رحّبت سورية بالثورة الإيرانية وقد وقفت معها منذ إرهاصاتها الأولى فصارت حليفاً لها في مواجهة جبهة واسعة من الأعداء

ولا نظن أن الشعب الإيراني والجمهورية الإسلامية نسوا أو يمكن لهم ما قدمته سورية لهم على غير صعيد، في ذلك الوقت العصيب، الذي حوصرت فيه إيران وضربت، وعمّ الخراب والدمار في كل جانب، حتى توقفت الحرب وأخذ الشعب ببناء ما دمّرته الحرب، والنهوض من جديد من بين الأنقاض ليشهد العالم كله إنجازات علمية باهرة ومبهرة دللت على عظمة الشعب والثورة والقيادة الحكيمة القادرة على النهوض في أحلك الظروف وأقساها. ومنذ تفجر الربيع الدامي شهدت هذه العلاقات الوثيقة بين البلدين مزيداً من الأخوة والتحالف في مواجهة الإرهاب ورعاته في الغرب الاستعماري.

ويمكن الجزم بأنها العلاقات الأمثل بين البلدين التي تجمعهم المصالح والمبادئ وبما يخدم شعبيهما وشعوب العالم والسلام العالمي.

العلاقات السورية – الإيرانية.. من أين وإلى أين؟

الوفاق/ خاص
الدكتور سليم بركات

اتخذت العلاقات السورية - الإيرانية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ بُعداً استراتيجياً بعد تلاقي إرادة البلدين على تعزيز التعاون على الصعد كافة، وفي جميع المجالات أكان ذلك برفض الإملاءات الخارجية والتدخلات الأجنبية، أم كان ذلك من خلال تطابق الرؤى والتشاور المستمر لحل قضايا المنطقة والتأكيد على الحقوق الثابتة، وفي طليعتها الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، واستعادة سورية للجولان المحتل من الكيان الصهيوني.

دأب البلدان من خلال هذه العلاقة الاستراتيجية على الاستمرار بالتشاور والتنسيق على ما يعزز الأهداف المشتركة ويفعّل مسيرة التعاون الثنائية المشتركة لتكريس أمن واستقرار المنطقة على أسس تخدم مصلحة الشعبين. ولا ينفصل الحديث عن هذه العلاقة الاستراتيجية بين الدولتين عن عمقها التاريخي، الذي أعطاه الإسلام بعداً روحياً حضارياً بالإضافة إلى العامل الجيوسياسي والاقتصادي والأمن المشترك. وكان الفضل في إدراك هذا العمق للقائدين الخالدين الإمام الخميني وحافظ الأسد، اللذين أدركا عظمة المهمة للثورة الإسلامية في إيران وللأمة العربية ودورها الحضاري الإنساني عبر التاريخ، وما تجسده الثورة الإسلامية في تصديها للمهمة الجديدة في العلاقة بين العروبة والإسلام في مواجهة قوى الاستكبار العالمية والصهيونية وأطماعها في الوطن العربي والعالم الإسلامي.

لقد أدرك القائد الخالد حافظ الأسد أن الثورة الإسلامية منذ انطلاقتها قد أعادت إيران إلى وضعها الصحيح في طليعة الدول الإسلامية التي تدعو إلى العدل والحرية ومكافحة الظلم، واعتبر أن هذه الثورة تشكل إضافة نضالية إلى شعوب العالم من أجل التحرر، وتتحمل المسؤولية في مواجهة مؤامرات الاستكبار العالمي والصهيونية العالمية. وكان للإمام الخميني - قدس - سره أكبر الأثر في قيادة الثورة ضد الظلم والعبودية منذ أن اعترف الشاه "بإسرائيل"، وحاول ربط إيران بالمشاريع الاستعمارية. الأمر الذي يؤكد أن الممارسة العلمية لفكر القائدين الخالدين على أرض التطبيق هو الذي أعطى هذه العلاقة الاستراتيجية الديمومة والعمق والاستمرار في فهم مشترك لمرحلة التحول التاريخي التي تمت على مستوى المنطقة لتخليصها من الشوائب والسلبيات، مما أعطاها القدرة على أن تكون نموذجاً للعلاقات الإيجابية الدولية.

ونحن لا نجافي الصواب إذا قلنا إن الدارسين لكتب وخطابات الإمام الخميني. قدس سره - قبل الثورة الإسلامية، وبعدها يدركون تركيز الإمام على الأخوة الإسلامية و على ضرورة توحيد جهود الأمة الإسلامية من أجل تحرير فلسطين، بما في ذلك رموزها الدينية في القدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهذا لا يكون إلا بالوحدة الإسلامية، والجهاد في سبيلها، ونحن لا نجافي الصواب أيضاً إذا قلنا إن الدارس لفكر القائد الخالد حافظ الأسد، يلاحظ الشيء ذاته، إذا لم يعتبر الصراع العربي الإسرائيلي قضية حدود، وإنما قضية وجود بين غزو صهيوني استعماري، يستهدف الأرض والشعب والعقيدة وبين أمة لها تاريخها وعقيدتها وحقوقها هي الأمة العربية وعمقها الاستراتيجي الأمة الإسلامية، وعدَّ أن قضية فلسطين ذات بعد وطني عربي إسلامي وإنساني، وأن النضال من أجلها هو جزء من نضال العالم ضد الظلم والطغيان والصهيونية والاستعمار. وبهذا تكون أفكار القائدين قد التقت استراتيجياً لتزداد مكانتها لدى الشعبين العربي والإيراني على مستوى المنطقة العربية والإسلامية وجميع أنحاء المعمورة. ونحن لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الحديث عن وصف المقاومة في أي بلد عربي أنها حركات إيرانية هي محاولة لضرب العرب والمسلمين وإضعافهم، وهي خدمة تقدم للمشروع الصهيوني الأمريكي لتجزئة المنطقة تمهيداً لنهبها واستعبادها.

من هذا المنطلق تتوضح موضوعية اللقاء السوري الإيراني بالأهداف والاستراتيجية، لتكون في المحصّلة لصالح النضال العربي والإسلامي من أجل الاستقلال والحق والسيادة، وعلى السائرين في الركب الأمريكي أن يدركوا هذه الحقيقة، كيف لا وأمريكا تعد (إسرائيل) جزءاً لا يتجزأ منها وهي على استعداد للحفاظ على أمنها ولو أدى ذلك إلى تدخلها عسكرياً. كيف لا وهي تعدها واحة ديمقراطية بعيداً عن جرائمها المتكررة ضد الشعب العربي الفلسطيني.

لقد وقفت إيران وسورية من منظور إسلامي وعربي، وبرؤية استرتيجية، مع كل الشرفاء من العرب والمسلمين، وعلى مستوى العالم ضدّ السياسة الصهيونية العدوانية على العرب وهم يمارسون حقاً مشروعاً في الدفاع عن النفس والهوية وعن الانتماء العربي والإسلامي في هذه المنطقة، كيف لا وقد حولت إيران الثورة مبنى السفارة الإسرائيلية إلى مقر لتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية بعد أن قطعت هذه الثورة علاقاتها مع "إسرائيل"، كيف لا والقضية الفلسطينية كانت قضية الشعب العربي السوري قبل أن تكون آية منظمة فلسطينية، وعلى هذا الأساس نرى العلاقة الاستراتيجية التي تربط بين سورية وبين الثورة الفلسطينية منذ أن أطلقت هذه الثورة رصاصتها الأولى وبقيت على هذا العهد وفية لها، منها انطلقت معظم الثورات الفلسطينية لمقاومة الاحتلال ومن لف لفه، ومن الاستعمار البريطاني إلى الاحتلال الاستيطاني الصهيوني.

يقول القائد الخالد حافظ الأسد: إن «فلسطين ليست جزءاً من الوطن العربي وحسب وإنما هي الجزء الأساسي من جنوب سورية... ونحن لا نستطيع أن نتنازل عن الحق، ولا نتخلى عن الواجب ولذلك نرى من حقنا ومن واجبنا أن نعمم على أن تبقى فلسطين جزءاً محوراً من وطننا العربي ومن قطرنا العربي السوري»، وكذلك هو الرئيس بشار الأسد عندما يتحدث عن فلسطين، فإنه يعني فلسطين الجغرافيا والتاريخ والجيولوجيا الواحدة، التي هي جزء لا يتجزأ من سورية الطبيعية ومن الوطن العربي الواحد، ولا يفوته أن يوضح أن مصير المسجد الأقصى هو محور الصراع الدائم حالياً بين الصهاينة والمسلمين، ويخطئ من يعتقد أن العلاقة مع "إسرائيل" ستساهم في حماية الشعب الفلسطيني، بل على العكس إنها تساهم في تدميره.

من هذا المنطلق نقول لقد شهدت العلاقات السورية - الإيرانية الاستراتيجية التحسن الملحوظ في عهد الرئيس بشار الأسد والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية علي خامنئي، ولا سيما فيما يتصل بالمسائل الإقليمية والدولية حيث غدت هذه العلاقات أشد عمقاً من خلال القضايا الإقليمية، التي لعبت دوراً بارزاً في تقوية العلاقة بين الطرفين، حيث تمكنت سورية وإيران من الاحتفاظ بحيوية علاقاتهما الثنائية في مواجهة الضغوط الأمريكية، التي تستهدف حصول انقسام سوري - إيراني، أو تغيير أحد الطرفين السوري أو الإيراني لتوجهاته التحالفية، الأمر الذي يؤكد استحالة حصول أي انقسام سوري - إيراني أو ابتعاد طرف عن طرف آخر مهما كانت الضغوط؛ لأن الترابط بينهما مصيري، وهما يؤلفان معاً بالإضافة إلى قوى أخرى على صعيد المنطقة محرّراً ممانعاً لأي مشروع خارجي، لا يأخذ بالحسبان مصالح شعوب المنطقة، ولا سيما المشروع الأمريكي ومن لف لفه.

كيف لا وكل المؤشرات توحي بعالم قادم هو عالم التحالفات القوية بصرف النظر عن الموقع والحجم، كيف لا والمصالح الوطنية للدول هي المعيار الأول لبناء تحالفاتها، وقد يتقدم هذا المعيار أو يتراجع بشكل نسبي لصالح معايير أخرى تحكم الدول والمجتمعات، مثل القيم أو حق الجوار، أو المصير المشترك أو العقيدة أو غير ذلك، ولكن دون أي شك أن أمتن التحالفات وأصدقها هي تلك التحالفات التي تجمع المصالح مع القيم، ونحن لا نبالغ - لو مررنا على التحالفات الدولية خلال سنوات مضت لوجدنا - أن التحالف السوري الإيراني من أهم التحالفات الناجحة لا لشيء إلا لأنه تحالف استطاع أن يجمع بين المصالح والقيم.

عندما نحاول الإضاءة على العلاقات المتينة بين سورية وإيران، ولاسيما في هذه المرحلة الصعبة التي تمر فيها البشرية في ظل هيمنة القطب الواحد سنجد حرباً هنا وحرباً هناك، كما سنجد سورية ومن خلال استشرافها العميق بقيادة الرئيس بشار الأسد أنها استطاعت قراءة ما تحمله الثورة الإيرانية بقيادة المرشد الأعلى قدس سره من مبادئ وأهداف لتكون وقفتها إلى جانب سورية منذ اللحظات الأولى لاستهدافها من التحالف الأمبريالي الصهيوني الإرهابي، وإلى جانب القضية الفلسطينية التي تأتي في طليعة أولوياتها.

من هذا المنطلق راهنت سورية على الثورة الإسلامية الإيرانية مع قناعتها بأنها ستكون عرضة للكثير من الضغوط العربية والدولية، مما دفع سورية للاعتراف بشرعيتها ودعم موقفها عندما تعرضت لحرب لا مسوّغ لها، والمقصود هنا حربها مع العراق، هذا الوفاء السوري الإيراني ردت عليه إيران بذات الوفاء عندما بدأ الحرب الإمبريالية الصهيونية عليها في ٢٠١١ كانت إيران من أوائل الداعمين لسورية عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، ولم يزل هذا الدعم مستمراً.

صحيح أن صمود سورية وانتصارها يصب في المصلحة الإيرانية، ولكن الصحيح أيضاً هو أن الوفاء السوري سبب مهم لهذا الدعم، ولا سيما أن الولايات المتحدة قد بذلت أقصى جهودها سراً وعلانية للفصل بين الدولتين، وأغدقت الكثير من الوعود وهددت وتوعدت لكنها فشلت؛ لأن الوفاء بين الدولتين كان حاضراً.

كل هذا وغيره يؤكد أن ما يجري من تسريبات إعلامية مضللة ومرتبطة بأعداء سورية وإيران ليست سوى وجهات نظر شخصية أو مصلحية تصب في خانة أعداء البلدين وهي نتيجة للوضع الراهن الذي تمر فيه المنطقة، ويطرح الكثير من التساؤلات حول ما يجري من مستجدات، وكل ذلك يؤكد أن العلاقات السورية الإيرانية لم تقم بمعزل عن المتغيرات الإقليمية والدولية، وأهمها المشاريع الأمريكية وهيمنتها على صعيد المنطقة ووجود الكيان الصهيوني، الذي يعمل على تحقيق هذه المشاريع على حساب دولها، ومصالح شعوبها.

بقي أن نقول إن جميع المؤشرات توحي بعالم متعدد الأقطاب، الدور الفاعل فيه هو للتحالفات القوية التي تراعي دور كل طرف فيه ورأيه بصرف النظر عن موقعه وحجمه، وطبيعةُ الأمور تقول إن الفوز لمن كان سيداً بقراراته وتحالفاته القيمية المتوّجة بالصدق والوفاء.

صحيح أن صمود سورية وانتصارها يصب في المصلحة الإيرانية، ولكن الصحيح أيضاً هو أن الوفاء السوري سبب مهم لهذا الدعم، ولا سيما أن الولايات المتحدة قد بذلت أقصى جهودها سراً وعلانية للفصل بين الدولتين

مقال

الوفاق/خاص
الشيخ نواف عبدالعزيز طراد الملحم*

إيران وسورية الحجر الأساس لمحور المقاومة

إن العلاقات السورية - الإيرانية المتمثلة في الترابط والتعاون والصداقة الحقيقية هي ليست بجديدة، بل متجذرة منذ قيام ثورة الإمام الخميني وعهد القائد حافظ الأسد (رحمهما الله)، فسورية رحبت بهذه الثورة لأنها لبت تطلعات الشعوب العربية وأحلامها بالاهتمام بقضاياها وخاصة القضية الفلسطينية ومواقفها الإيجابية ضد أعدائنا وعلى رأسهم الصهيونية.

وسورية وإيران يشكلان الحجر الأساس لمحور المقاومة الذي تعتز به الشعوب الحرة والذي تعزز بتحقيق الانتصارات سواء في فلسطين أو لبنان وآخرها في سورية في الوقوف الى جانبها ضدّ المؤامرة والحرب المسعورة التي شنت عليها حيث لم تبخل الجمهورية الاسلامية الايرانية حكومة وشعباً بتقديم كافة أنواع الدعم، ولعل أثمنها التضحيات فكانوا بحق الأصدقاء والأشقاء الأوفياء الذين لا نعتبرهم إلا أنفسنا بهذه المواقف الطيبة المشرفة ونثمن كل هذه الأدوار وهذه المواقف.

وإن زيارة الرئيس الايراني السيد رئيسي لسورية في هذا الوقت الذي يشهد في العالم متغيرات جمة على الصعيد الاقليمي والدولي لها أهميتها أو رمزيتها ودلالتها على صعيد تعزيز التلاحم والتعاضد ورسالة لكل المشككين لهذه العلاقة، وإننا كحزب سياسي وطني نرحب بهذه الزيارة الغالية والتاريخية التي لن تكون مجرد زيارة عادية، بل سينتج عنها الكثير، مما سيكون له انعكاسات على دول المنطقة عموماً والدول العربية خصوصاً بعد التفاهم الذي تم بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والمملكة العربية السعودية، ونأمل من هذه الزيارة خاصة بعد الزلزال المدمر الذي ضرب الكثير من المناطق في سورية أن تكون إيران - كما عاهدناه - شريكاً حقيقياً في إعادة إعمار ما دمرته الحرب والزلزال وبإسمي وبإسم حزب الشعب نكرر ترحيبنا بالرئيس الايراني والوفد المرافق له وكل الشعب الإيراني في بلدهم الثاني سورية.

*الأمين العام لحزب الشعب